

## الخاتمة:

معقدة العناصر ومتشعبة الأبعاد ومتداخلة الارتباطات وعميقة الآثار هي ظاهرة الخوف من الإسلام، ومن ثم فإن التعامل مع تلك الظاهرة يستوجب تضافر كل الجهود الممكنة في العالم الإسلامي من أجل الخروج بإستراتيجية شاملة، ترتقي بإحكامها وتماسكها وإحاطتها إلى مستوى تلك الظاهرة البالغة الخطورة، التي تقف عقبة جدية أمام تمكن دول ذلك العالم من إقامة علاقات إيجابية سليمة، ليس مع بقية دول العالم، وبخاصة الدول الغربية، وحسب، بل فيما بينها ومع أبنائها أيضاً.

غير أن الخروج بتلك الإستراتيجية المنشودة يستوجب العمل على تحديد معالم المنظومة المرجعية المتماسكة والموحدة التي ستنظم سبل التعامل مع تلك الظاهرة، وتضمن الانطلاق في ذلك من صف متضامن موحد. إذ إن من المستبعد أن يتمكن العالم الإسلامي من مجابهة وعلاج ظاهرة خوف الآخر من الإسلام، ما زال هو نفسه يختبر الظاهرة نفسها في ربوعه، وعلى الرغم من إقرارنا بصعوبة الاتفاق على مثل تلك المرجعية المتوخاة، إلا أننا نزعم أن الخطوة الأولى إلى ذلك تتمثل في وجوب الإقرار الفعلي من جانب المجتمعات الإسلامية بأن الإسلام، بثوابته وأصوله العامة، هو الإطار العريض الذي يحتضن تلك المرجعية ويحتوي قواعدها، إذ يغدو انتساب تلك المجتمعات إلى الإسلام واعتبارها مجتمعات إسلامية محض لغو لا طائل منه، ما لم يشكل الإسلام بالفعل الأرضية التي تنطلق منها في تعريف نفسها وتحديد هويتها الحضارية، مقارنة بالهويات الحضارية الأخرى.

إن إقرار أبناء المجتمع العربي الإسلامي بأنهم أبناء حضارة عربية إسلامية حقاً، لا يعبر فيما هو مفترض عن مجرد شعارات مثالية خالية من الدلالة يتم ترديدها بلا روح في الخطب والمؤتمرات، بل ينبغي أن يعبر عن هوية حقيقية تتم ترجمتها إلى أفعال ملموسة تقضي بأن تكون ثوابت تلك الحضارة وأصولها وقواعدها الكلية هي الإطار الذي يستلهم منه أبناء تلك الحضارة رؤيتهم للواقع وسبل فهمهم له وتعاملهم معه، وهذا هو السبيل الأمثل فيما نزعم لإبراز الهوية الحضارية المتميزة للإسلام وصونها من أخطار التهميش والتشويه، وتشكل تلك

الثوابت والأصول والقواعد الأنموذج المرجعي الذي يحتكم إليه أبناء الحضارة في تشكيل نظرتهم إلى الوجود وموقفهم منه، وفي إسباغ المعاني والدلالات على موجودات هذا الكون، بما يتصل بذلك من مسائل بالغة الأهمية، تتعلق بمفهوم الإنسان نفسه، وأسباب وجوده، ومواصفات دوره الحياتي، وعلاقته بنفسه وبالأخر وبالطبيعة... الخ.

ويجسد ذلك الأنموذج حضوراً واضحاً يحل في سائر أنشطة المجتمع الذي يقر بتبنيه، فنستطيع تحسس آثاره جلية في كل بعد من أبعاد الحياة في ذلك المجتمع، ونراه علامة فارقة مميزة في الآداب والفنون وطرق العيش و تآثر التفاعل والسلوك. ومن هنا تظهر إمكانية الحديث عن حضارات متميزة، يصدر كل منها عن أنموذج موجه له سمات خاصة، تضيف عليه التميز والاختلاف عن بقية الحضارات، وتمنحه هويته وشخصيته المتفردة.

والإسلام، وهو الذي وقف خلف صنع حضارة بالغة الفريدة والقوة والرقى والتميز، لم يأت ليكون مجرد دين روحاني لا شأن له إلا بأمور الآخرة والاعتكاف في انتظارها. بل جاء ليكون ديناً شمولياً - ليس بالمعنى السلبي للشمولية الذي أثر عن الأنظمة الاشتراكية الآفلة - ينظم لأتباعه كل جوانب حياتهم: الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والروحية، والحضارة المبدعة التي تشكلت في رحم ذلك الدين شاهدة على ذلك.

وعليه؛ فقد يكون من أفضل السبل لمواجهة ظاهرة الخوف من الإسلام بعث الحياة في الجوانب الحضارية لذلك الدين، عبر إبراز أبعاده المشرقة وتحليلتها للعالم، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه، انطلاقاً من منطق المبادرة الفاعلة الواثقة بقوة هذا الدين وإمكاناته الرحبة غير المتناهية، وليس من منطق ردة الفعل الاعتذارية الخجولة، الذي يحكم حتى الآن تفاعل العالم الإسلامي مع معظم التحديات التي تعترض سبيل تقدمه.

إن هناك حاجة ملحة للتعرف إلى الإسلام، من جانب أبنائه أولاً، تمهيداً لتعريف العالم به. وهذا يتطلب جهوداً حثيثة صادقة من لدن الحكومات الإسلامية لتعريف الناس بجوهر دينهم وتعاليمه الحقيقية. مع ما يرتبط بذلك من وجوب وضع تلك التعاليم موضع التطبيق الفعلي،

سعيًا إلى تجاوز حالة النفاق والتذبذب والتنافر المعرفي التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، نتيجة التآرجح بين الإيمان بمبادئ عقديّة وعدم القدرة على الالتزام السلوكي بها.

وبكل تأكيد، فإنه ليس من الحكمة إحجام العالم الإسلامي عن تعريف أمم الأرض بالإسلام إلى أن يحسم مشكلاته الداخلية المتشابكة المتعلقة بهذا الدين. بل إن من الحكمة المسارعة إلى بذل قصارى الجهود الممكنة لتقديم الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة إلى أكبر عدد ممكن من الناس على امتداد المعمورة. إذ تثبت الآلاف المؤلفة من الذين يدخلون في الإسلام كل عام في أرجاء الأرض - على الرغم من الواقع المزري للمسلمين - أن البشرية التائهة تتعطش إلى التقيؤ تحت ظلال الدين الذي ارتضاه الله خاتماً للأديان والرسالات، بعد أن أضناها اللهاث في بيادي العبثية والعدمية والضلال.